الأهرام

المصدر: الاهرام

التاريخ : ٢٩ مايو ١٩٩١

إثيوبيا والنيل وإسرائيل

عاطف الغمرى

اخترت ان اطل من زاوية محددة ، على احداث سقوط وهروب منجستو رئيس اثيوبيا ، مركزا الرؤية على بعد واحد من هذا الحدث ، وهو ما يتعلق بخطة إقامة جسر إسرائيلى يصلها باثيوبيا ، ويحقق وجودا اسرائيليا عند منابع النيل ، بعد ان مهدت إسرائيل لذلك بعملية تحريض على إثارة المخاوف حول الماء وازمته المقبلة ، وبحديث معاد طوال سنتين بالتمام والكمال يقول « ستكون الحرب القادمة فى الشرق الاوسط بسبب المياه » .

وقبل عرض الواقعة ، اتوقف ، بالقول ان تجربة النظام العراقى ، فى التستر وراء علاقة حسن الجوار ، لوضع دول الجوار فى حرج من إتخاذ موقف منه ، بينما هو يدبر المكائد لها ، قد تكررت على يد منجستو الذى لم يكف عن التظاهر بحسن علاقاته مع دول حوض النيل ، بينما هو يزرع فتيل إنفجار مؤجل تحت اقدامها .

واعود الى الواقعة .

.. فى اواخر عام ١٩٨٩ راحت الانظمة الماركسية فى اوربا الشرقية تتساقط واحدا وراء الآخر ، وكان سقوطها بمثابة دقات على باب اثيوبيا ، وعلى ابواب كافة الدول المقلدة لهذه الانظمة . وايضا كان قرار الاتحاد السوفيتى بوقف مساعداته عن اثيوبيا ـ الماركسية ـ وعدم تجديد الإتفاقية العسكرية معها والتى ينتهى أجلها فى عام ١٩٩١ ، نذير شؤم ، بإنهيار حكم منجستو . وبسرعة عقد المكتب السياسى لحزب العمال الماركسى الحاكم فى اديس ابابا إجتماعا قرر فيه تغيير هوية النظام ، وطمس ملامحه الماركسية ، وجرى فى الحال إزالة صورة ماركس وإنجلز ولينين من الشوارع .

وبحث منجستو عن حليف بديل ياخذ بيده ، ويدعم اركانه المنهارة ، حليف ياخذ مكان السوفيت عسكريا ، بان يزوده بالسلاح والخبرة ، وسياسيا بأن يمد جسوره المقطوعة مع امريكا والغرب .. وكانت إسرائيل تقف فى إنتظاره .

وفى العام الماضى عقد منجستو مع إسرائيل إتفاقا يقضى بهجرة اليهود الاثيوبيين الفلاشا الى إسرائيل بمعدل الف كل شهر . والمقابل نوعيات من السلاح الاسرائيلى شحنت الى اثيوبيا . وتولى اجهزة العلاقات العامة اليهودية القيام بحملة دولية لتحسين سمعة منجستو ونظامه ، فى امريكا واوربا ، ومحاولة الايحاء بانه يتحول نحو إحترام حقوق الانسان ، والسماح بالتعددية الحزبية وحرية التعبير .

وكان اخطر ما تكشف هو إتفاق على منح إسرائيل حق استخدام جزر إثيوبية فى البحر الاحمر ، نقاط للمراقبة العسكرية . فى هذا الوقت بدات الأنباء تتسرب فى صحف الغرب ، عن إتجاه منجستو لاقامة مجموعة من السدود على نهر النيل الأزرق ، احد روافد نهر النيل ، بمساعدة اسرائيل ، لتخزين ٥١ مليار متر مكعب من الماء ، ومعنى ذلك ان تنخفض كمية المياه التى تتدفق على مصر .

كان هذا الاتفاق يكتسب خطورته ، من عنصرين يثيران القلق :

(١) ـ ان كيسى كبيدى المستشار السياسى لمنجستو زار إسرائيل عام ١٩٨٩ ، وهناك قال ان اسرائيل واثيوبيا تشتركان فى علاقة استراتيجية طبيعية ، لابقاء البحر الاحمر ، بحرا غير عربى ، وضمان مرور السفن عبر ممراته الضيقة .

(٢) ـ اذا لاحظنا ان خطط إسرائيل كلها تقريبا ، هى خطط قديمة بعيدة المدى ، ضمن إطار شامل للتحرك الاستراتيجى المتدرج ، تنتظر الفرصة للتنفيذ ، فإننا من هذه الزاوية يمكن ان نقرا اليوم ما قاله بن جوريون أول رئيس لوزراء اسرائيل فى الخمسينات ، عن ضرورة إتباع إسرائيل سياسة القفز فوق الحواجز العربية ، لاقامة تحالف إستراتيجى مع الدول غير العربية ، المجاورة للدول العربية . وكانت اثيوبيا ضمن ما أشار إليه من هذه الدول .

هذه الاعتبارات قد تضاعفت خطورتها على ضوء ما استجد فى نظر إسرائيل ومنه :

□ □ إن إسرائيل اعلنت رسميا انها تواجه الآن اسوأ ازمة مياه فى تاريخها ، وهى لم تعد تخفى ان المياه العربية هى الحافز وراء تمسكها بعدم الانسحاب من الأراضى المحتلة . فهى تحصل على ٤٠٪ من مياهها النقية من الطبقة الصخرية المائية تحت ارض الضفة الغربية وغزة ، وهى بعد حرب ١٩٦٧ قامت بسحب كميات كبيرة من المياه الجوفية فى الارض المحتلة ، وإستولت على مياه نهر بانياس فى مرتفعات الجولان السورية المحتلة ، وهى عندما قامت بغزو لبنان عام ١٩٨٢ ، واقامت وجودا لها فى جنوب لبنان مستمرا حتى الآن ، فهى قد سطت على مياه نهر الليطانى ، بإقامة انابيب ضخمة تضخ المياه عن طريقها من الليطانى الى شمال إسرائيل على مدار الاربع والعشرين ساعة .

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

وإذا كانت إسرائيل قد بدات حروبها عام ٤٨ من اجل قيام الدولة ، وفى عام ١٩٦٧ من اجل الارض والتوسع فيها ، فقد اصبح التوسع فى جلب المهاجرين اليهود السوفيت ، يضاعف من الحاجة للماء ، وهو ما يجعل خبراء إسرائيل يتحدثون الآن بصوت مسموع عن أن الماء سيكون سبب الحرب القادمة .

ويمكن أن نلاحظ أن لغة إسرائيل السياسية قد اضيف اليها بعد ، لم يكن مطروحا من قبل ، وهو توسيع نطاق التسوية ، ليضم دولا بعيدة عن خطوط الحدود معها ، ودافعها وراء ذلك انها تريد توسيع مفهوم الأمن العسكرى والسياسى الذى كانت لاتكف عن التعلل به كسبب لتمسكها بالأرض المحتلة ـ ليشمل ايضا امن المياه . وهى تريد إعترافا عربيا بذلك ، وتقنينا له بينما تنظر الى مياه الجولان ، ولبنان ، والاردن ، ومصادرها فى الارض المحتلة

وقد مهدت إسرائيل لهذه التركيبة لمفهوم التسوية ، بخطوات متدرجة ، كان فى مقدمتها إقتحام ساحة منابع النيل فى اثيوبيا بوجودها هناك ، وهى تخطط لان يكون ارتباطها بمشروعات المياه والسدود فى اثيوبيا دولة المنبع ، وتشكيلها لوبى يهودى مؤثرا داخل نظام الحكم فى اثيوبيا ، مصدر قوة وضغط ونفوذ ، مما يتيح لها الضغط لمصلحتها . وهذا هو البعد الاستراتيجى لأزمة المياه فى إسرائيل .

وكان من اللافت للنظر ان العلاقة الاثيوبية الاسرائيلية ، إتخذت بعد ٤٨ ساعة فقط من هروب منجستو ، منعطفا يوحى بتعزيزها اكثر مما هى عليه ، وذلك بإقامة جسر جوى طارىء بمساعدة الولايات المتحدة ، لنقل ١٨ الف يهودى إثيوبى من الفلاشا خلال ٢١ ساعة فقط ، وبموافقة من تسفاى جبرى كيدان الذى خلف منجستو فى منصبه . وكان ذلك هو حجر الاساس ، فى العلاقة الاثيوبية الاسرائيلية .

والمثير للريبة ان الولايات المتحدة التى تعترف بانها شجعت هجرة الفلاشا لإسرائيل ، تقول انها تامل الا توطنهم اسرائيل فى الاراضى المحتلة ، فاين إذن ستوطنهم ؟! .. هل صارت الامنيات هى فلسفة السياسة الامريكية تجاه العرب و اسرائيل ؟! ..

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية